

ماء .. ماء

نِدِرٌ مِّنَ السُّحْبِ قَطْرَةَ مَاءٍ ؟
 مُعَلَّقَةً بِغِيُومِ السَّمَاءِ
 وَتَغْرُبُ عَائِدَةً فِي الْمَسَاءِ !
 عَلَى كُلِّ وَجْهِهِ وَمِيْضَ رَجَاءِ
 لِنَفْتَحَ قَسْرًا سُودَ الْفَضَاءِ ؟
 وَضَاعَ بَنُوها ؟ وَمَا الْكِيْمِيَاءِ ؟
 جِيَاعاً رَحِيْلُهُمْو لِلْغِذَاءِ ؟

*

وَشَاهَتِ رُؤَاهُ وَجَفَّ الرُّوَاءِ
 مَنَاجِمَ نَابِعَةً بِالْعَطَاءِ
 وَكَسَّرَتِ النَّايَ أَيْدِي الرِّعَاءِ
 فَلَا صَوْتٌ يُسْمَعُ إِلَّا الثَّغَاءِ
 يُخَيِّمُ فِيهَا الْأَسَى وَالشَّقَاءِ
 وَمِحْرَاثُهَا مَيِّتٌ فِي الْعِرَاءِ
 تَنَادَتِ إِلَيْهَا الذِّئَابُ الظَّمَاءِ
 عَرَائِسَ تَشْمَخُ فِي كِبَرِيَاءِ
 عَلَى الزَّهْرِ فِي مَوْكِبٍ مِّنْ ضِيَاءِ ؟
 وَدُنْيَا الْعَبَاقِرِ وَالشَّعْرَاءِ ؟
 مَزَاهِرَ تَشْدُو بِعَذْبِ الْغِنَاءِ ؟
 لِئَلِيْبَحَثَ عَنْ قُوْتِهِ فِي الْخَلَاءِ

بِأَيِّ لِسَانٍ وَأَيُّ دُعَاءِ
 تَطَّلُ مِنَ الشُّوقِ أَبْصَارُنَا
 تُظَلُّ أَفَاقَنَا فِي الصَّبَاحِ
 وَتَرْبِدُ أَفَاقَهَا فَتَرَى
 وَأَيُّ الْمَرَائِبِ نَرَقَى بِهَا
 وَمَا الْعِلْمُ ؟ إِنْ أُجِدَّتْ أَرْضُنَا
 وَهَلْ أَسْعَدَتْ رِحْلَةً لِلْفَضَا

*

خَالًا الْحَقْلُ وَالرُّوْضُ مِنْ أَنْسِهِ
 وَغَاضَتْ مَنَابِعُ كَانَتْ بِهِ
 وَهَامَتْ عَلَى وَجْهَهَا كُلِّ شَاةٍ
 وَغَطَّى الْوُجُوْمُ عَلَى كُلِّ حَيٍّ
 كَانَ الْقَرْيَ أَصْبَحَتْ مَاتِمًا
 مَنَاجِلُهَا لُعْبٌ صَدِيَّاتٌ
 وَوَدِيَّانُهَا الْخُضْرُ مُغْبَرَّةٌ
 عَهْدَتْ السَّنَابِلُ فِي بُسْطِهَا
 فَأَيْنَ الْفَرَاشَاتُ حَائِمَةٌ
 وَأَيْنَ الرَّبِيْعُ وَأَضْوَاؤُهُ
 وَأَيْنَ الْحَمَائِمُ فِي دَوْحِهَا
 نَأَى الطَّيْرُ عَنْ عَشِيهِ وَهُوَ بَا

وَلَمْ يَلْقَ فِي النَّهْرِ ذَاكَ الثَّرَاءَ !
وَتَمَنُّحُ أَحْيَاءَهَا بِسَخَاءِ
تُعَانِي مِنَ الْجَدْبِ شَرًّا بَلَاءِ

*

وَيَا مَنْ يُصَرِّفُ كَيْفَ يَشَاءُ
وَقَدْ جَفَّ فِي الْحَلْقِ كُلُّ نِدَاءِ
دَعْتِكَ الْيَتَامَى دَعْتِكَ النِّسَاءِ
تُنَاجِيكَ فِي خَشْيَةٍ وَبُكَاءِ
تَسْحَحُ عَلَيْنَا بِقَطْرَةِ مَاءِ
حُصٍّ وَلَيْسَ لَهُ فِي الْوُجُودِ انْتِهَاءِ
جَمَالِيَّةً وَاسْتَجِبَ لِلدُّعَاءِ

فَلَمْ يَلْقَ فِي الْحَقْلِ سُنْبُلَاءَةً
تَعُجُّ الْبَحَارُ بِأَمْوَاجِهَا
وَمِنْ حَوْلِهَا الْأَرْضُ مُجَهَّدَةٌ

*

فَيَا فَالِقَ الْحَبِّ تَحْتَ الثَّرَى
دَعْوُونَكَ وَالْأَرْضُ لَاهِتَّةٌ
دَعْتِكَ الْوَلَائِدُ وَالْمُرْضِعَاتُ
دَعْتِكَ شُيُوخٌ مُصَلِّيَّةٌ
خَزَائِنُ مُلْكِكَ أَكْبَرُ أَنْ
وَفِيضُ عَطَائِكَ مَا إِنْ يَغِي
فَأَلْبَسَ جَلَالَكَ أَرْضِيَّةً